

البرلس الإسلامية .. بلد المعارك الكبرى

محمد ياقوت

من أهالي بلطيم والبرلس على الإسلام، وإنما دخلوا في الإسلام لتأثرهم بسماحة المسلمين، وللبون الشاسع الذي لاحظوه بين معاملة الرومان ومعاملة أهل الإسلام.

مولى عمرو بن العاص يموت

مداقفاً عن البرلس

استهدف الرومان البرلس بعد فتحها كمحاولة منهم لاستردادها والانطلاق منها عبر سواحل مصر لإخراج المسلمين، وكان ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وحدث أن القوات الرومانية داهمت سواحل البرلس، فجاء الصريخ إلى الإسكندرية - وكان عليها علقمة بن يزيد القيطعي - أن الروم قد نزلوا البرلس فأغيثوها، فاستنفر علقمة الناس إليهم، فولى عليهم وردان مولى عمرو بن العاص فنفر بهم حتى قدم البرلس بجيشه، فوجد الروم بها، فاقتتلوا قتالا شديدا فاستشهد وردان ومن معه، وعدد من الصحابة منهم أبو رقية اللخمي - وكان على الخراج - فاستشهد وعائذ بن ثعلبة البلوي - وكان على الخيل - فاستشهد (١١).

وكان والي مصر في هذه الفترة هو مسلمة بن مخلد، وتوفي مسلمة وهو وال عليها، لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين، كانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر، واستخلف عابس بن سعيد عليها (١٢).
ومكان هذه المعركة - على الأرجح - في موضع قرية العنابرة الآن، حيث بها عدد من القبور تنسب إلى جماعة من الصحابة.

نستروه (أو مستروه)

من معالم البرلس الإسلامية قرية

إذا أردنا أن نصور «البرلس» في كلمات قليلة، فنستطيع أن نقول: إنها بقعة إسلامية جعل لها عمرو بن العاص رضي الله عنه أولوية في فتوحاته، وخصها بقائد كبير من قاداته، هي بقعة أطنب المؤرخون في ذكر أهميتها واسترسلوا في عد مناقبها، وشرح خيراتها، وهي بقعة استهدفها الرومان الغزاة، ومن بعدهم الصليبيون البغاة، وتخرج فيها العلماء والفقهاء والدعاة، كان طلاب العلم يأتون إليها من تونس والمغرب والشام والقاهرة يطلبون العلم عند مشايخها أمثال علامة البرلس «ابن الأقطيع».. بلد المعارك الكبيرة، والحصون المنيع، والحمائم الوفيرة، والزوايا الكريمة، والآثار العتيقة، والمناظر الساحرة الجذابة الأنيقة.. البحر من الشمال، والبحيرة من الجنوب، وبوغاز من الغرب، والخضرة من الشرق.. بقعة حصنها صلاح الدين، ودافع عنها الملك الكامل، وأكرمها الملك قايتباي، ورفع الملك برقوق عنها المكوس.

إبراهيم بن سليمان بن داود الكوفي البرلسي الأسدي، حدث عن أبي اليمان الحكم بن نافع، وعنه أبو جعفر الطحاوي، وكان حافظا ثقة (٨).

وقال الصاغاني (٩) «برلس» بالضمات الثلاث وتشديد اللام - قرية من سواحل مصر يُنسب إليها

من مزارع وبحيرات، ومما ذكره «... بلاد البرلس ونسترو، وهي بلاد الصالحين... فقصدت تلك البلاد، وهي كثرة النخل والثمار والطير البحري والحوث - المعروف بالبورى - ومدينتهم تسمى ملطين (٦)، وهي على ساحل البحيرة المجتمعة من ماء النيل وماء البحر

يقع إقليم البرلس على بعد ٢٠٠ كم من القاهرة، شمال دلتا مصر، بين الإسكندرية من الغرب ودمياط من الشرق، وهي إحدى مراكز محافظة كفر الشيخ، وبلطيم هي عاصمة مركز البرلس.

نخر البرلس

ورد ذكر اسم البرلس في كتب التاريخ الإسلامي مقرونا بلفظة «نخر» (١)، وهذا يدل على الأهمية العسكرية للبرلس من حيث كونها موضع الرباط، ومحل الجياد، وبقعة فاصلة بين بلاد الكفر وبلاد الإسلام، لذا قال عنها الإمام السخاوي (٢) «البرلس نخر عظيم من سواحل مصر» (٣).

وقال اليعقوبي «مدينة البرلس على ساحل البحر المالح، وهي موضع الرباط» (٤)، أي موضع الجيش والسلاح لتحصن أي محاولة عدوان على الأراضي الإسلامية (٥).

خيرات البرلس

لقد مر بالبرلس الرحالة المغربي محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت ٧٩٧)، وأطنب في ذكر البرلس، ووصفها بأنها بلاد الصالحين، ثم وصف خيراتها

البحر من الشمال والبحيرة من الجنوب وبوغاز من الغرب والخضرة من الشرق .. موقع البرلس الاستراتيجي

جماعة من أهل العلم» (١٠).

فاتح البرلس

على أثر الفتح الإسلامي فتحت البرلس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان فاتحها وقائدها وحاكمها هو الصحابي الجليل غانم بن عياض الأشعري رضي الله عنه، حفيد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولقد أحبه أهل البرلس وبلطيم لسماحته وعدله وحسن ولايته، وظل يحكم فيهم بأحكام الإسلام حتى توفي بينهم ودفن في تراب البرلس، وضرجه معروف بقرية برج البرلس، ولم يُكره أحدا

المعروفة ببخيرة تنيس، ونسترو بمقرية منها.. نزلت هناك بزواية الشيخ شمس الدين القلوي، من الصالحين» (٧).

بلد الصحابة والعلماء

وعلى أثر الفتح الإسلامي لمصر سكن عدد من الصحابة بالبرلس منهم وردان مولى عمرو بن العاص، وغانم بن عياض الأشعري، قال المرتضى الزبيدي «ذكر أبو بكر الهروي أن بالبرلس، اثني عشر رجلا من الصحابة، لا تعرف أسماؤهم، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم أبو إسحاق



نستروه، تلك التي كان يستهدفها الصليبيون، فيتصدى رجالها مجاهدين صامدين، ومن هجمات الصليبيين على نستروه الهجمة التي وقعت سنة ٨١٩ هـ (١٣). وارتبط اسم هذه القرية التاريخية ببحيرة نستروه، وجزيرة نستروه. أما الجزيرة فيقول عنها صاحب معجم البلدان «نستروه جزيرة بين دمياط والإسكندرية، يصاد فيها السمك، وعليهم ضمان خمسين ألف دينار، وليس عندهم ماء، وإنما يأتيهم في المراكب فإذا لاحت لهم مراكب الماء ضربوا بوق البشارة سرورًا، ثم يأتي كل رجل بجرته يأخذ فيها الماء ويحملها إلى بيته» (١٤).

قضاء البرلس

ولما كانت للبرلس مكانتها بين أقاليم مصر - سواء في العهد الروماني أو في العهد الإسلامي - كان لها القدح الملقى في القضاء فاشتهرت البرلس بكثرة قضائها، وكان بها دارٌ للقضاء مشهورة بين أقاليم مصر.

قال السمعاني «كل من ولي قضاء البرلس ولي قضاء مصر حتى إن القاضي إذا ولي البرلس صار الناس يهتئون بقضاء مصر!» (١٥).

حصول صلاح الدين بالبرلس

ولأهمية البرلس الجهادية أنشأ بها القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي حصنين كبيرين لحماية السواحل من غارات الصليبيين، وقد عُرف أحد الحصنين باسم «البرج»، واقترن هذا الاسم على مر السنين بالبرلس، حتى عرفت قرية «برج البرلس» بهذا الاسم نسبة لهذا الحصن، أما موضع الحصن الثاني فكان بموضع طابية عربي الآن، وقد قام الخديوي إسماعيل بترميم هذا الحصن عام ١٨٨٢م، وتبلغ مساحته ٢٢,٥٠٠م^٢، وصارت بعد ذلك موضع وحدة مدفعية تابعة للمجاهد الكبير أحمد



جرائم اليهود في البرلس

في سنة ١٩٦٩م ضرب اليهود البرلس ضربتين بالطيران الحربي «الفانتوم»، ضربة كانت في قاعدة الرادار - قرب قرية الكوم الأحمر - وقتل فيها بنيران الجيش الصهيوني نحو ثلاثين جندياً مصرياً، إضافة إلى بعض المدنيين من أهالي بلطيم، ودفنت جثث الأبرياء في مدفن بلطيم، وأطلق على الشوارع المجاور لهم «شارع الشهداء»، والضربة الصهيونية الثانية كانت في منطقة الكرية في مدخل بلطيم وأدت إلى استشهاد امرأة من أهالي بلطيم، هي السيدة «كريمة محمد موسى».

ها قد رأيت هذه النبذة عن «البرلس» .. هذه النبذة الخفيفة تجعلنا نقول بكل ثقة: إن البرلس إسلامية التاريخ، إسلامية الحضارة، إسلامية العلم والأدب، وإن أهل البرلس وبلطيم كانوا مختلطين بالصحابة والمجاهدين والعلماء، فجاهدوا معهم، وتعلموا منهم.

وقد أوقف أهل البرلس وبلطيم أوقافاً خيرية من عقارات ومدارس وصداقات في بلاد الحجاز وغيرها... وهذا يدل على السمة السائدة بين أغنياء هذا العصر من خير وفضل، وبذل وعلم، وكان الواحد من أهالي بلطيم والبرلس تؤثر عنه رحلات في طلب العلم،

ورحلات في الجهاد والرياء عند الثغور، وحسبك قصة «يعقوب بن محمد بن صديق البرلسي» (ت ٨٨٣ هـ)، وكان الواحد من أهالي البرلس يذهب إلى القاهرة يطلب العلم عند الإمام السخاوي أو غيره، ثم يرجع البرلس فيرسل ولداً بعد ولد إلى القاهرة، يطلبون العلم عند العلماء والفقهاء والقراء، فلا يكاد يخلو بيت من عالم أو طالب علم.

هوامش

- (١) الثغر هو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين الوطن والعدو، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.
- (٢) هو الإمام المؤرخ الشافعي محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢ هـ) أصله من مدينة سخا بمحافظة كفر الشيخ، انظر الأعلام للزركلي (١٩٤/٦).
- (٣) السخاوي، الضوء اللامع (٥ / ٢٢٥).
- (٤) البلدان (١ / ٤٢).
- (٥) وفي فضل المرباطة على الثغور يقول النبي ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات، جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان» (مسلم).
- (٦) يقصد بلطيم.
- (٧) رحلة ابن بطوطة، ص ٢١.
- (٨) تاج العروس (١٥ / ٤٤٧).
- (٩) الرضى الصاغانى (٥٧٧ - ٦٥٠ هـ = ١١٨١ - ١٢٥٢ م) الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصاغانى الحنفى رضى الدين: أعلم أهل عصره في اللغة. وكان فقيها محدثاً (الأعلام للزركلي ٢/ ٢١٤).
- (١٠) ألعاب الزاخر (١ / ٦).
- (١١) انظر ابن عساکر: تاريخ دمشق (٦٢ / ٤٣٣).
- (١٢) الكندي، ولاية مصر (١١/١).
- (١٣) انظر ابن حجر، إنباء الغمر بانباء العمر (٧ / ٢١٠).
- (١٤) الحموي: معجم البلدان (٢٨٥/٥).
- (١٥) الأنساب للمسمغانى (٣٧٨/١).
- (١٦) شاهد في جوجل إيرث مجموعة صور لعمدي أبو زيد عن بلطيم.